بواعث الخلاص من الذنوب

وهو فَصْلٌ من كتاب: «عدة الصابرين»

للإمام

أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوب ابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ

ت ٧٥١ هـ رحمه الله

تعليق

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى به

خالد بن عبد الله الكندري



للعلامة ابن قيِّم الجوزية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر

بواعث الخلاص من الذنوب./ محمد بن ابي بكر قيم الجوزية .- الرياض، ١٤٣٨هـ

٦٤ ص؛ ١٢ × ١٧ سم

ردمك: ٩ - ٤٥٢٣ - ٠٢ -٦٠٣- ٩٧٨

١- الايمان (الإسلام) ٢- الوعظ والارشاد ٣- المعاصبي والذنوب أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٨/٧١٥٩

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٧١٥٩

ردمك: ٩ — ٤٥٢٣ - ٠٢ -٦٠٣- ٩٧٨

بواعث الخلاص من الذنوب

وهو فَصْلٌ من كتاب: «عدة الصابرين»

للإمام

الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ ٱللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوب ٱبْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ

ت ٧٥١هـ رحمه الله

تعليق

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى به

خالد بن عبد الله الكندري

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أمَّا بعد :

فلمَّا كانت الذُّنوب والمعاصي مصدرَ شُؤمٍ وخِزْيٍ للعبد، كان الواجبُ على كلِّ مسلمٍ ناصحٍ لنفسِهِ أن يسعى -بعد الاستعانة بالله تعالى- في البحث عن الأمور والأسباب التي تَدْفَعُهُ إلى مُجَانَبَتِها والبُعد عنها، فإنَّ هذا بابٌ مهم جدًّا يحتاجُ المسلمُ إلى استحضاره دائمًا -وهو: البواعثُ للخلاص من الذنوب-؛ ليسلمَ من العقابِ، وليفوز بجزيل الثواب.

ولهذا نجد العلماءَ قد أوضحوا هذه البواعث التي تُعينُ على الخلاص من الذنوب قديمًا وحديثًا، وكان من جملتهم الإمام العلَّامة المُرَبي ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد كتبَ فصلًا نفيسًا في كتابه «عدةُ الصابرين وذَخِيرة الشاكرين» ذكر فيه

عشرين باعثًا لتقويَـةِ الدين والإيمان، والخلاص من الذنوب والآثام، جمعها جمعًا متينًا، وبيَّنها بيانًا نافعًا، فأحببتُ ذكرها في هذا المختصر والتَّعليق عليها بما يوضِّحُ مقاصدها، ويُـجَلِّـي معانيها، حتى يعمَّ نفعها بين المسلمين، وتكون لهم باب توبة وخلاصٍ من الذنوب.

واللهَ أسأل أن يرحمَ الإمام ابن القيِّم، وأن يرفعَ درجتَـهُ في جنات النعيم، وأن يغفر لنا وله ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[1].

وكتبه

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

---

(١) وأصل هذه الرسالة محاضرةٌ ألقيتُها في دولة الإمارات، في يوم السبت الموافق: ٣٠/ ١٠/ ١٤٣٤هـ، وقد قام بعضُ الإخوة بتفريغها، وإعدادها للطباعة، وعَرْضِها عليَّ، فقمت بمراجعتها وتصحيحها، وزدتُ فيها بعض الزيادات والفوائد، وجزى الله خيرًا كلَّ من شارك في تفريغها وطباعتها ونشرها بين المسلمين، وأخصُّ منهم أخي خالد الكندري على جهوده ومساعيه في إخراج الكتاب.

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« فصل: وأمَّا تقويةُ باعث الدِّين فإنه يكون بأمور:

أحدُها: إجلالُ الله -تبارك وتعالى- أن يُعْصَى وهو يَرى ويَسمع، ومن قام بقلبِـهِ مَشْهَدُ إجلالِـهِ لم يطاوِعْهُ قلبُـهُ لذلك البتَّـة » .

التعليق

الباعثُ الأول للخلاص من الذُّنوب:

(إِجلالُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإعظامُهُ)

وذلك أن يَشْهَدَ المرءُ في قلبِهِ جَلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعظمته، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ .

قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسيرها: «ما لكم لا تُعَظِّمون اللهَ حقَّ عَظَمَتِـهِ»[1].

وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله: ﴿أَطْوَارًا﴾: «أي طَوْرًا بعد طورٍ إلى تمام الـخَلْق ... **فمن فَعَـلَ هذا وقَدِرَ عليه فهو أَحَقُّ أن تُعَـظِّمُوه**»[2].

ومِن شواهد تأثير هذا المشهدِ في النُّـفُوس ما جرى للصحابيِّ الجليلِ جُبَير بن مُطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قَـرَعَ سمْعَهُ بعضُ الآيات التي فيها بيانُ عَظَمَـةِ الله، وقامَ في قلبه مقامُ إجـلالِ الله وجَبَـرُوتـهِ، وأنه هُـوَ الـخَالِـقُ والـرَّازق والمُتصرِّف بجميع الخلق؛ دفعَهُ ذلك للإيمان ودخول الإسلام؛ حيث قال: «سمعتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في المغرب بالطُّور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ

(١) أخرجه الطبريُّ في «جامع البيان»، (٢٣/ ٢٩٦).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/٣٠٣).

ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾ ، قال: **كاد قلبي أن يطير**»[1].

وفي لفظٍ آخر: «**وذلك أَوَّلُ ما وقر الإيمان في قلبي**»[2].

فالعبدُ إذا حدَّثتْهُ نفسُه بارتكابِ ذنبٍ من الذُّنوب فليَشْهَدْ بقلبِهِ جلالَ الله ﷻ وعظمَتَهُ وجَبَروتَهُ، وأنهُ مُطَّلِعٌ على أفعاله وأقواله؛ فإذا استشعر العبدُ ذلك بقلبه كَفَّ عن ارتكاب الذنوب -بإذن الله- لا محالة.

قال بِشْرُ بن الحارث الحافي: «**لو تفكَّرَ الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه**»[3].

❁❁❁❁❁

---

(١) «صحيح البخاري»، رقم: (٤٨٥٤).

(٢) «صحيح البخاري»، رقم: (٤٠٢٣).

(٣) انظر: «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير (٢/ ١٨٤).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« الثاني: مشهدُ محبَّتِهِ سبحانه، فيتْرُكُ معصيَتَهُ محبةً له؛ فـ«إنَّ الـمُحِبَّ لمن يُحِبُّ مُطيعُ»، وأفضلُ التَّركِ تركُ المُحبِّين، كما أنَّ أفضلَ الطَّاعةِ طاعةُ الـمُحبِّين، فبَيْن تركِ الـمُحبِّ وطاعتِهِ وتركِ مَنْ يخافُ العذابَ وطاعتِه بَوْنٌ بعيد » .



الثاني من هذه البواعث :

(محبة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ)

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾، فإذا أَشغلَ العبدُ قلبَـهُ بِحبِّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ صَرَفَهُ هذا الانشغال عن الوقوع فيما يُغْضِبه عَزَّ وَجَلَّ، لأنَّ المعاصي والذنوب تُفَوِّت على العبد حظَّـهُ ونَصِيبَـهُ من محبة الله عَزَّ وَجَلَّ له بحسب ما

وَقَعَ فيه من الذنوبِ و الخطايا، ولأنَّ المحبَّـةَ الصَّادقة لله عَزَّوَجَلَّ مُستلزِمَةٌ لامتثال أوامِره، واجتنابِ ما يُسخِطُهُ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

ولذلك قيل:

تَعْصِي الإِله وأنتَ تُظْهِرُ حُبَّـهُ
هذا مُـحالٌ في الـقياس بديعُ
لَوْ كانَ حُبُّكَ صادِقاً لأطَعتَـهُ
إنَّ الـمـُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ [1]

❁❁❁❁❁

(١) تُنسب هذه الأبيات إلى جماعةٍ منهم الإمام الشافعي وابن المبارك وغيرهما، انظر: «ديوان الشافعي» (ص٦٧)، و«ديوان ابن المبارك» (ص١٥).

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« الثـالـثُ: مَشْهَدُ النِّعمة والإِحسان؛ فإنَّ الكريمَ لا يُـعامِل بالإساءة مَن أَحْسَنَ إِلَيه، وإِنما يَفعل هذا لِئامُ الناس، فليَمْنَعْهُ مَشهدُ إِحسانِ الله ونِعْمَتِهِ عن معصيته حياءً منه؛ أن يكون خيرُ الله وإِنعامُهُ نازلًا إليه، ومخالفاتُـهُ ومعاصيه وقبائِحُهُ صاعدةً إلى ربِّهِ، فمَلَكٌ يَـنْزِلُ بهذا ومَلَكٌ يَعْرُجُ بهذا، فأَقْبِحْ بها من مُقَابَلة! » .

التعليق

الأمر الثالث من هذه البواعث :

(نِعَمُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإِحسانُـهُ)

فيستشعرُ العبدُ نعمَ الله عَزَّوَجَلَّ الكثيرة عليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾، فيحذر أن يُقابلَ هـذا الإحسانَ بالإساءة، فـالله عَزَّوَجَلَّ يُـسبغُ عليه الـنِّعم،

وهو يُقابِلُها بالإساءة والمعصية!

وقد ذكر الإمام عبدُ الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «التوَّابين» قصةً عن إبراهيم بن أَدْهَم أنَّه جاءه رجلٌ فقال له: «يا أبا إسحاق إني مُسْرِفٌ على نفسي فاعْرِضْ عليَّ ما يَكونُ لها زاجِرًا ومُسْتَـنْقِذًا لقلبي»[1].

فقال له: «**إن قَبِلتَ خمسَ خصالٍ وقَدِرتَ عليها لم تَضُرك معصيةٌ، ولم توبِقْكَ لذَّةٌ!**».

قال: «هاتِ يا أبا إسحاق».

فقال له: «أما الأولى: **فإذا أردتَ أن تعصيَ الله** عَزَّوَجَلَّ **فلا تأكل رِزْقَـه**».

فقال الرجل: «فمنْ أينَ آكُلُ وكُلُّ ما في الأرض من رزقِـهِ؟!».

قال له: «**يا هذا أفيَحْسُنُ أن تأكلَ رِزْقَهُ وتعصيه!**».

(١) «كتاب التوَّابين» (ص٢٨٥).

قال: «لا، هات الثانية».

قال إبراهيم: **«وإذا أَردْتَ أن تعصيه فلا تَسْكُنْ شيئًا من بلادِه»**.

قال الرجل: «هذه أعظم من الأولى، إذا كان المشرقُ والمغربُ وما بينهما له فأين أسكن؟!».

فقال إبراهيم: **«يا هذا أفيَحْسُنُ أن تأكلَ رِزْقَهُ وتَسْكُنَ بلادَهُ وتعصيه؟!»**.

قال: «لا، هات الثالثة».

قال إبراهيم: **«إذا أَردْتَ أن تعصيه وأنتَ تحت رِزْقِهِ وفي بلادِه فانظرْ موضعًا لا يراك فيه مبارزًا له؛ فاعصِهِ فيه»**.

قال: «كيف هذا وهو مُطَّلعٌ على ما في السَّرائِر؟!».

قال: **«يا هذا أفيَحْسُنُ أن تأكل رِزقَهِ، وتسكن بلادَه، وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟!»**.

قال: «لا، هات الرابعة».

قال إبراهيم: «**إذا جاءك مَلَكُ الموت ليقبض روحك فقل له: أَخِّرْني حتى أتوبَ توبةً نصوحًا، وأعملَ لله عملًا صالـحًا**».

قال: «لا يـقبل مني».

قال: «**يا هذا فأنت إذا لم تَقْدِرْ أن تَدفعَ عنك الموتَ لتتوبَ، وتعلمُ أنهُ إذا جاء لم يكن له تأخيرٌ فكيفَ ترجو وَجْهَ الخلاص؟!**».

قال: «هات الخامسة».

قال إبراهيم: «**إذا جاءَتْكَ الزَّبانِيَـةُ يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهبْ مَعَهُم**».

قال: «لا يدعونني، ولا يَقبلون مني».

قال: «**فكيف ترجو النجاة إذًا؟**»

قال له: «يا إبراهيم حسبي حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه».

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« الرابع: مَشْهَدُ الغضب والانْتِقَام، فإنَّ الربَّ تعالى إذا تمادَى العبدُ في مَعْصِيَتِهِ غَضِبَ، وإذا غضِبَ لم يَقُمْ لغَضَبِهِ شيءٌ، فَضْلًا عَن هذا العَبدِ الضَّعيفِ » .

التعليق

الأمر الرابع من هذه البواعث:

(غَضَبُ الله جَلَّ جَلَالُهُ وانتِقامُهُ)

فالله عَزَّ وَجَلَّ يَسْخَط ويَغْضَبُ ممَّن عصاه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾، فإذا حَدَّثَتْ النفسُ صاحِبَها بالمعصية فليَذْكُرْ غضبَ الله جَلَّ جَلَالُهُ وانتقامَهُ الذي لا يقاومه شيءٌ، فكيف بهذا العبد الضعيف؟!

والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ ، فليحذر العبد من فِعل موجِبات حلول غَضَبِ الله عليه، وأسباب نِقمَتِهِ وسَخطِهِ.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« الخامس: مشهدُ الفَوَاتِ؛ وهو ما يفوتُـهُ بالمعصية من خَير الدُّنيا والآخرة، وما يحدثُ له بها من كلِّ اسمٍ مَذْمومٍ عَقْـلًا وشَرْعًا وعُرْفًا، وتَزولُ عنه من الأسماءِ المَمْدُوحة شرعًا وعقلًا وَعُرفًا، ويَكفي في هذا المشهدِ: مشهدُ فواتِ الإيمان الذى أدنى مثقال ذَرَّةٍ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها أضعافًا مضاعفةً، فكيفَ يبيعُهُ بشهوةٍ تَذْهَبُ لذَّتُها، وتبقى سوء مَعيشتِها؟! تذهب الشهوةُ وتبقى الشَّقْوَةُ، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يَزني الزاني حين يَزني وهو مؤمن»، قال بعض الصحابة: «يُنْـزَعُ منه الإيمان حتى يَبقى على رأسِهِ مِثْل الظُّـلَّة، فإن تابَ رَجَعَ إليه»، وقال بعض التابعين: «يُـنْزَعُ عنه الإيمانُ كما يُـنْزَعُ عنه القميص فإن تابَ لَبِسَه»، ولهذا رأى النبيُّ ﷺ في الحديث الذى رواه البخاريُّ في «صحيحه» الزُّناةَ في التنُّور عُراةً؛ لأنهم تَعـرَّوا من لباس الإيمان، وعادَ تَـنُّورُ الشهوةِ الذي كان في قلوبهم تنورًا ظاهرًا يُحمى عليه في النار ».



الأمر الخامس من بواعث ترك المعاصي:

(فواتُ الخيـرِ والفضلِ)

فلو عَلِمَ الـمُقْدِمُ على المعصيةِ كم سيفوته من الخير والفضل لأحجمَ عنها؛ ومن ذلك حِرمانُـهُ من تمام الإيمان وكماله، كما قال النبيُّ ﷺ: «**لا يَزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السَّارق حين يسرق وهو مؤمن**»[١]

فهذا العاصي بفعله لهذه الكبيرة قد حُرِمَ اسمَ الإيمان التامِّ، واستحقَّ أن يوصَفَ بأنَّه: (مؤمن فاسق)، أو (مؤمن فاجر)، أو (مؤمن عاصٍ)، وفَـوَّت على نفسه خيرات عظيمة في دنياه وأخراه.

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٢٤٧٥)، و«صحيح مسلم» رقم: (٥٧).

ومِنْ فوات الخير الذي قد يَلحَقُ العاصي أيضًا ذهابُ حسناته وأعماله الصَّالحة، فعن ثوبان رضي الله عنه عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**لأَعلمَنَّ أقوامًا من أُمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تِهَامة بيضًا، فيجعلها الله عزَّ وجلَّ هباءً منثورًا**»، قال ثوبان: يا رسول الله صِفْهُم لنا، جَلِّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «**أما إنهم إخوانكم، ومن جِلْـدَتِكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنَّهم أقوام إذا خَلَوا بمحارم الله انتهكوها**»[1].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من استطاعَ منكم أن لا يُبْطِلَ عملًا صالحًا عَمِلَـهُ بعملٍ سيِّءٍ فليَفْعَلْ، فإنَّ الخيرَ يَنْسَخُ الشرَّ، وإنَّ الشرَّ يَنْسَخُ الخيرَ»[2].

❊❊❊❊❊

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن» برقم: (٤٢٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٢١/ ٢٢٦)، وذكرتُهُ مختصَرًا.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« السادسُ: مَشْهَدُ القَهْرِ والظَّفَرِ، فإنَّ قَهْرَ الشهوةِ والظَّفَرَ بالشيطان له حلاوةٌ ومَسَرَّةٌ وفرحةٌ عند من ذاق ذلك أعظمُ من الظَّفَر بعدوِّكَ من الآدميِّين، وأَحلى مَوْقِعًا، وأَتم فرحة، وأما عاقبَتُهُ فأَحمدُ عاقِبة، وهو كعاقبة شُربِ الدواءِ النَّافع الذي أزالَ داءَ الجسدِ وأعادَهُ إلى صحَّتِهِ واعتِدَالِهِ ».



الأمر السَّادس من بواعث ترك الذنوب:

(لذَّةُ قَهْرِ النفس وإِرغامِ الشيطان)

فالنفس والشيطان هما مصدرُ الآثام ومَنْبعُ الشرور، فالعبدُ إذا جانبَ المعصية فإنه قد قَهَرَ نفسَهُ، وأَرْغَمَ الشَّيطان، وذاقَ حلاوة العِزَّة بطاعة الرحمن عَزَّوَجَلَّ،

وشاهِدُ ذلكَ ما صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن المؤمنَ ليُنْضِي شياطِينَهُ كما يُنْضِي أحدُكُم بعيرَهُ في السفر**»[1].

وقوله: (**يُنْضِي**) أي يُضعِفُ ويُهزِل شيطانَهُ، كالدَّابة التي أَهْزَلَتْها الأسفارُ وأَذْهَبتْ لَحْمَها؛ وذلك بتركه الشهوات وإقباله على الطاعات ومخالفته لأوامر شيطانه[2].

ومـمَّا يدلُّ أن النَّفسَ والشيطان هـما مصدر الآثام والشرور أَمْرُ النبيِّ ﷺ بالاستعاذة منهما في كلِّ صباحٍ ومساءٍ وعند أَخْذِ المضجع؛ فقال لأبي بكر: «**قل: اللهم فاطِرَ السموات والأرض، عالِمَ الغيب والشهادة، ربَّ كل شيءٍ ومَليكِهِ، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شَرِّ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» برقم: (٨٩٤٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم: (٣٥٨٦).

(٢) انظر: «التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني (٣/ ٥٢٧)، و «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٧٩٢).

نفسي ومن شرِّ الشيطان وشركه، قال: قُلْها إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مَضْجعَكَ »[1].

قال ابن القيِّم : «ذَكَـر -النبيُّ ﷺ- مَصْدَرَي الشرِّ؛ وهما: النفس والشيطان، وذكر مَوْرِدَيه ونـهايتَـيْـهِ؛ وهما: عودُهُ على النَّفس أو على أخيه المسلم؛ **فجمعَ الحديثُ مصادر الشر وموارده، في أوجزِ لفظٍ وأخْصَرِه وأجْـمَعِهِ وأَبيَـنِه»**[2].

فالعبدُ إذا استحضَرَ هذا المعنى وتَركَ المعصيةَ قهرًا للنفس الأمَّارة بالسُّوء، وإرغامًا لعدوِّهِ الشيطان، واعتزازًا بطاعة الله ﷻ فازَ فوزًا عظيمًا في الدنيا والآخرة.



(١) أخرجه أبو داود في «السنن» برقم: (٥٠٦٧)، والترمذيُّ في «الجامع» برقم: (٣٣٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: (٤٤٠٢).

(٢) «بدائع الفوائد» (٢/ ٧١٨).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« **السابعُ: مَشْهدُ العِوَضِ؛ وهو ما وَعَدَ اللهُ سبحانه به مِن تعويض من تـرَكَ المحارم لأَجْلِـهِ، ونهى نفسَهُ عن هواها، وليُوازِن بين العِوَض والـمُعَوَّض فأَيهما كان أولى بالإِيثار اختارَهُ وارتَضَاهُ لنَـفْسِهِ** ».



الأمر السابع من هذه البواعث:

(الفوز بالعِوَض من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**)**

فإن تركت يا عبدَ الله المعصيةَ خوفًا من الله وطلبًا لرضاه، ورعايةً للإيمان فإنَّ اللهَ سيُعَوِّضُك في الدنيا بلذَّةٍ في القلب وسعادةٍ في النَّفسِ، وبركةٍ في الحياة، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾،

وسيعوِّضكَ في الآخرة بدخولِ الجنَّة، والتمتُّعِ بنعيمها المقيم جزاءَ تركك للآثام والمعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّك لن تَدَعَ شيئًا اتِّقاءَ الله إلا أعطاكَ اللهُ خيرًا منه**»[1].

وشواهِدُ هذا الباعث في الشرعِ كثيرةٌ جدًّا، فإنَّ من امتنعَ عن شُرب أمِّ الخبائث -الخمر- بالدنيا عوَّضه ربُّ العالمين بنهرٍ في الجنَّة من خَمرٍ لم يتغيَّر طعْمُهُ، بخلافِ من تعاطى هذه المحرَّمات واعتادَ فِعْلَها ولم يتبْ إلى الله عزَّ وجلَّ منها، فإنَّهُ سيُحرمها في الآخرة كما صحَّ عن النبي صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «**مَنْ شَرِبَ الخمر في الدُّنيا، ثم لم يَتُبْ منها، حُرِمَهَا في الآخرة**»[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم: (٢٠٧٣٩) وسندُهُ صحيحٌ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٥٧٥)، ومسلمٌ، برقم: (٢٠٠٣).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

« الثامن: مَشْهدُ الـمَعِـيَّة، وهي نوعان: مَعِـيَّـةٌ عامَّةٌ، ومَعِـيَّـةٌ خاصَّةٌ، فالعامة: اطِّلاعُ الربِّ تعالى عليه، وكونُـهُ بعينِـهِ؛ لا تَخفى عليه حالُـهُ، وقد تقدَّم، والمقصودُ هنا الـمَعِيَّـة الخاصَّة كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، فهذه المعيَّـة الخاصة خيرٌ له وأنفعُ في دُنياهُ وآخرتِـهِ؛ مِن قضاءِ وَطَرِه، ونَـيْلِ شَهوته على التمام، مِن أوَّل العُمُرِ إلى آخرِهِ، فكيفَ يُـؤْثـرُ عليها لذَّةً مُـنَغَّصَةً مُنَـكَّدةً في مُدةٍ يَسيرةٍ من العمر؟! إنَّما هي كأحلامِ نائمٍ، أو كظلٍّ زائل».



الأمر الثَّامن من بواعث ترك الذنوب:

(معيَّـة الله عَزَّوَجَلَّ الخاصة)

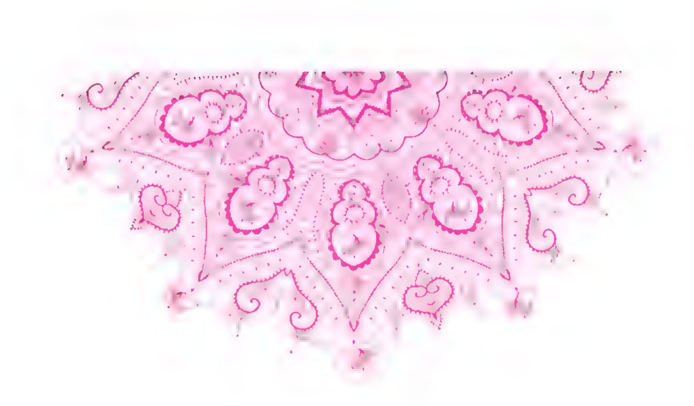
والمقصود بمعيَّةِ الله عَزَّوَجَلَّ الخاصة تلك المعيَّـة التي اختصَّها اللهُ بعباده المتقين المحسنين الصابرين، والتي تقتضي الحِفظَ والنُّصرة والرعاية والتأييد.

فالعبد إذا دعته نفسُهُ إلى المعصية فَصَبَـر عنها، وجاهَدَ هواهُ فإنه سيفوز بهذه المعية الخاصة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ومن شواهِد هذه المعيَّة الخاصَّة قِصَّة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار، فانحدرت عليهم صخرةٌ من الجبل وأَغْلَـقَتْ عليهم الغار، فقالوا: «**إنه لا يُنجِيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعوا اللهَ بصالح أعمالكم**»، وكان من كلام أحدهم: «**اللهم كانت لي بنتُ عَمٍّ، كانت أحبَّ الناسِ إليَّ، فأردْتُها عن نَفْسِها، فامتَـنَعت منِّي، حتى أَلَـمَّتْ بها سَنَـةٌ من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُـخَلِّي بيني وبين نَـفْسِها فَـفَعَلتْ، حتى إذا قَدِرْتُ عليها،**

قالت: (لا أُحِلُّ لك أن تَـفُضَّ الخاتمَ إلا بِحَقِّهِ)، فتَحَرَّجْتُ من الوقوعِ عليها، فانصرفْتُ عنها وهيَ أحبُّ الناسِ إلَـيَّ، وتركتُ الذَّهبَ الذي أَعطَـيْـتُها، اللهم إن كنتُ فَعَلْتُ ابتغاءَ وَجْهِك، فافْـرُجْ عنَّا ما نحن فيه، فانْـفَـرَجَت الصخرة»[1]،

فهذا تَـرَكَ فعل الفاحشة التي تهيأت له أسبابُها ابتغاءَ وجهِ الله، فكان الله مَعَهُ بحفظِهِ ورعايته، وأنجاهُ ﷻ من الهلاك في الغار.



(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» برقم: (٢٢٧٢) – واللفظ له–، ومسلمٌ في «صحيحه» برقم: (٢٧٤٣).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« التاسع مشهد الـمُغَافَصَة[1] والمعاجلة؛ وهو أن يخافَ أن يغافِصَهُ الأَجَلُ فيأخذَهُ اللهُ على غِرَّةٍ، فـيُحالُ بينَـهُ وبين ما يَشتهي من لذات الدنيا، وبينَـهُ وبين ما يشتهي من لذات الآخرة، فيا لها من حَسْرةٍ ما أَمـرَّها وما أَصْعبها، لكن ما يعرفها إلا مَن جَرَّبها، وفي بعض الكتب القديمة: (يا مَن لا يأمن على نفسِهِ طرفَةَ عينٍ، ولا يتمُّ له سرورُ يومٍ، الحذرَ الحذرَ) ».



الأمر التاسع من هذه المشاهد:

(الخوفُ من مباغَـتَـةِ الأَجَل)

فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، ويقول تعالى واصِفًا قدوم الأجل: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ

(١) المُغافصةُ: هي الأخذُ على غِرَّة. «تهذيب اللغة» للأزهري (٨/ ٦٢).

سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾، فالإنسانُ لا يدري متى تفجَـؤُهُ الـمَنِـيَّـةُ، وربما ظَنَّ -وهو في حال القوَّة والشباب- أنه يعيش سنينَ طويلة فلا يَشعُر إلا والموتُ داهَمَهُ فجأةً، وكان الصحابيُّ الجليل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء»[1].

وكان النبيُّ الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذكِّر أصحابه بقدُوم الأجل واقترابه ويقول لهم: «**أَكثِروا من ذِكْـرِ هادِمِ اللَّذَّاتِ**»[2] لأن هذا التذكر يثني العبدَ عن ارتكاب الذنوب.

❋❋❋❋❋

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٤١٦).

(٢) أخرجه الترمذيُّ في «الجامع» رقم: (٢٣٠٧)، والنسائيُّ في «السنن» رقم: (١٨٢٤)، وابنُ ماجه في «السنن» رقم: (٤٢٥٨)، وصححه الألبانيُّ في «الإرواء» رقم: (٦٨٢).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« العاشر: مشهد البَلاءِ والعافية، فإنَّ البَلاءَ في الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها، والعافيةُ المطلَقَةُ هي الطَّاعات وعواقبها، فأهل البلاءِ هم أهلُ المعصية وإِن عُوفِيَتْ أبدانُهم، وأهل العافية هم أهلُ الطاعة وإن مَرِضَتْ أبدانُهم، وقال بعض أهل العلم في الأثر المروي: (إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية)؛ فإن أهلَ البلاء المُبتلون بمعاصي الله والإعراض والغفلة عنه، وهذا وإن كان أعظمَ البلاء فاللفظ يتناول أنواع المبتلين في أبدانهم وأديانهم، والله أعلم ».



الأمر العاشر من هذه البواعث:

(مشهد البلاء والعافية)

فالذُّنوبُ هي أعظمُ وأخطر بلاءٍ يصيبُ المرءَ، والعافِيةُ المطلقةُ إنما هي في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والبعدِ عن

الذُّنوب، واللهُ عَزَّوَجَلَّ قد قَسم البلاءَ بقَدَر، والعافيةَ بقَدَر؛ ولهذا كان من أعظم الدعاء سؤالُ الله العافيةَ.

ومِن ذلك قول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما مِنْ دَعْوَةٍ يَدعو بها العبدُ أفضل من: اللهم إني أسألك المُعَافاة في الدنيا والآخرة**»[1].

وقال صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: «**اسألوا اللهَ العفوَ والعافيةَ، فإنَّ أحدًا لم يُعْطَ بعدَ اليقين خيرًا من العافية**»[2].

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي أصحابَهُ وأهل بيته أن يُكثروا من هذا الدعاء، كما قال لعمِّه العبَّاس: «**يا عَمِّ! أَكثِر الدعاء بالعافية**»[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن» رقم: (٣٨٥١)، وصححه الألبانيُّ في «الصحيحة» رقم: (١١٣٨).

(٢) أخرجه الترمذيُّ في «الجامع» رقم: (٣٥٥٨)، وصححه الألبانيُّ في «الإرواء» رقم: (٩١٧).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم: (١١٩٠٨)، وصححه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» برقم: (١٥٢٣).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« الحادي عشر: أن يُعَـوِّدَ باعث الدين ودواعيه مصارعةَ الهوى ومقاومته على التدريج قليلًا قليلًا حتى يُدْرِكَ لَـذَّة الظَّـفَر، فتقوى حينئذٍ هِـمَّتُـهُ، فإنَّ من ذاقَ لذةَ شيءٍ قَوِيَت هِمَّـتُـهُ في تَحصيلِهِ، والاعتيادُ لممارسة الأعمالِ الشَّاقة يزيدُ القوى التي تَصْدُرُ عنها تلك الأعمال، ولذلك نَجِدُ قوى الحمَّـالين وأرباب الصنائع الشَّاقَّة تتزايد، بخلاف البَزَّاز والخيَّاط ونحوهما، ومن تركَ المجاهدة بالكلية ضَعُفَ فيه باعث الدين، وقَوِيَ فيه باعث الشهوة، ومتى عَوَّدَ نفسَهُ مخالفةَ الهوى غلبَهُ متى أراد ».



الأمر الحادي عشر:

(تعزيز مُجاهدةِ دواعي الشر)

فإنَّ من فضائل مجاهدة الهوى والشيطان حصول مناعةٍ للنَّفسِ منهما، وبهذه المقاومة أيضًا تضعُف الرغبة في المعاصي ويَسْهُلُ عليه تركها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى﴾، فالمسلم إذا جاهد وقاوم دواعي الشر وبواعثَهُ، فإن الله يُيسِّر له سُبُلَ الهداية والرَّشاد، بخلاف من استسلم لدواعي الشرِّ، فإنه سيضْعُفُ عن مقاومتها، ويُصبِحُ أسير شهواته.

قال ابن القيم: «أكملُ الناس هدايةً أعظمُهُم جهادًا؛ وأفرضُ الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن تركَ الجهادَ فاته من الهدى بحسب ما عطَّلَ من الجِهاد»[1].

(١) «الفوائد» (ص٥٩).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« الثاني عشر: كفُّ الباطل عن حديثِ النَّفسِ، وإذا مَرَّت به الخواطر نَفاها، ولا يُـؤْويها ويُساكِنُها فإنها تصير مُنى، وهي رؤوسُ أموالِ الـمَفالِـيس، ومتى ساكن الخواطر صارت أماني ثم تَقْوى فتَصِيرُ هموًما، ثم تَقْوى فتَصِيرُ إرادات، ثم تَقْوى فتصير عزمًا يَـقْتَرِنُ به المراد، فدفعُ الخاطرِ الأوَّلِ أسهلُ وأَيْسَر مِن دَفْعِ أَثرِ المَقدور بَعد وُقُوعِهِ وترك مُعاوَدَته».

التعليق

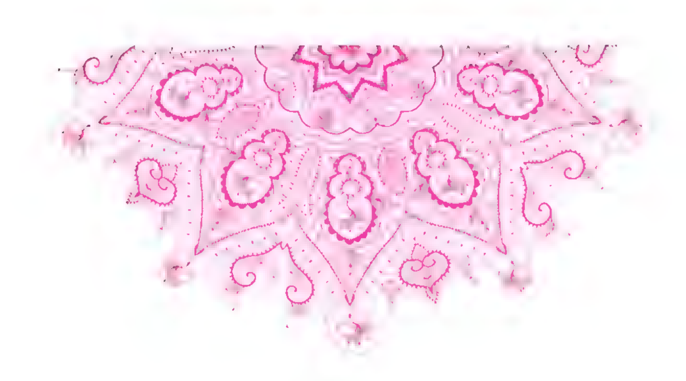
الأمر الثاني عشر:

(محاربة خواطر النفس الباطلة)

لِأَنَّ المعصية أولُ ما تبدأ تكون خاطرةً في النفوس، ثمَّ تتطوَّرُ لتصبحَ أُمنِـيَـةً، ثمَّ تتحول إلى هَمٍّ يتحرك في القلب، وبعدها تصيـرُ إِرادةً سيئةً، وبعدَ هذا تخْلُصُ لِأَنْ

تكون عزمًا يُقارِنُهُ فِعْلٌ لها؛ **فمن الخير للإنسان أن يقطعَ هذه الـخواطـرَ السيِّئةَ في أول نشأتها،** فإنَّـهُ إن تساهَلَ ووقعَ في المعصية، هانَ عَلَيه فِعلها مرَّةً تِلْوَ المرَّة، حتى تصيرَ صفةً لازمةً وهيئةً ثابتةً -والعياذ بالله-.

وما أجملَ الـمَثَـل الذي ضربَهُ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لحالِ العَبدِ مع الذُّنوب فإنَّه كان يمشي بأرضٍ فيها وَحْلٌ، فجعل يَـتَـوقَّاه، فغاصَتْ رِجْلُهُ فيه، فخاضَ -أي: صار يمشي في الوَحْلِ بعدَ ذلك دون توقٍّ-، وقال لأصحابه: هكذا العبدُ لا يَزالُ يَـتَـوَقى الذُّنوبَ، فإذا واقَعَها خاضَها[1].



(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١١٢).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« الثالث عشر: قطعُ العَلائقِ والأَسبابِ التي تَـدْعُوه إلى مُوافقةِ الهوى، وليس المرادُ أن لا يكون له هَوى، بل يَصْرفُ هواهُ إلى ما يَـنْفَعُهُ، ويَسْتَعملُهُ في تَنْفِيذ مُرادِ الربِّ تعالى، فإنَّ ذلك يَدْفَعُ عنه شرَّ استعماله في معاصيه؛ فإنَّ كلَّ شيء مِنَ الإِنسان يَسْتَعمِلُـهُ لله فـإنَّ اللهَ يَـقِـيه شرَّ استِعمـاله لنفسِهِ وللشيطان، وما لا يَسْتَعمِلُهُ لله استَعمَلَـهُ لنفسه وهواه ولا بدَّ، فالعِلم إن لم يكن لله كان للنَّـفس والهوى، والعمل إن لم يكن لله كان للرِّياء والنِّفاق، والمالُ إن لم يُنْـفَق لله أُنفِقَ في طاعة الشَّيطان والهوى، والجاهُ إن لم يُسْتَعمَل لله استَعْمَلَهُ صاحِبُهُ في هواهُ وحظوظِهِ، والقوةُ إن لم يستعملها في أمر الله استَعْمَلَتْـهُ في معصيته، فمَنْ عَوَّدَ نفسَهُ العملَ لله لم يكن عليه أَشَقَّ مِن العمل لغيره، ومَنْ عَوَّد نفسَهُ العملَ لهواه وحظِّهِ لم يكن عليه أشقَّ من الإخلاص والعمل لله، وهذا في جميع أبواب الأعمال فليس شيء أشقُّ على المنفق لله من الإنفاق لغيره، وكذا بالعكس ».

التعليق

الأمر الثالث عشر من بواعث ترك الذنوب:

(صَرْف الهوى إلى ما يُحِبُّـهُ الله جَلَّ جَلَالُهُ)

فإنَّ في الدنيا أسبابًا وعلائِـقَ تَصْرِفُ هوى النَّفسِ إلى الباطل والمحرَّمات، فيجبُ على العبدِ أن يحرصَ كُلَّ الـحرصِ على قـطعِ هذه العلائـق، وأن يـجتهدَ أعظمَ الاجتهاد في صَرْفِ هواهُ إلى ما يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حينما سُئِل أيُّ الجهادِ أفضلُ؟ قال: «**أنْ تجاهدَ نَفْسَك وهواكَ في ذات الله** عَزَّ وَجَلَّ»[1].

وقد ذمَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ انقادَ لهواهُ مُطلقًا فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) أخرجه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٤٩)، وصححه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» برقم: (١٤٩٦).

قال قتادةُ في بيان المراد من اتِّخاذِ الهوى إلهًا: «لا يَهوى شيئًا إلا رَكِبَهُ لا يخافُ الله عَزَّوَجَلَّ»[1].

وقد ذكرَ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «روضة الـمُحبِّين» فصلًا في ذَمِّ الهوى، وأوردَ فيه خمسينَ أمرًا تُعينُ المسلمَ على التَّغلُّبِ على هواه، وكيفَ يَجعلُ هواهُ تابِعًا لشرعِ الله، وموافقًا لما يُحبُّه الله ويرضاه[2].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في أواخر هذا الفصل: «إنَّ مخالفة الهوى تُوجِبُ شرفَ الدنيا وشرفَ الآخرة، وعِزَّ الظاهرِ وعِزَّ الباطن، ومُتابَعَتُهُ -أي الهوى- تَضعُ العبدَ في الدنيا والآخرة، وتُذِلُّهُ في الظاهر وفي الباطن»[3].

*****

(١) أخرجه الطبريُّ في «جامع البيان» (٢١/ ٩٣).

(٢) «روضة المحبين» (ص٦٢٩).

(٣) المصدر السابق (ص٦٤٨).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« الرابع عشر: صَرْفُ الفِكْرِ إلى عَجَائب آيات الله التي نَدَبَ عِبادَهُ إلى التفكُّر فيها؛ وهي آياته الـمَتْلوَّة وآياته الـمخلوقة، فإذا استولى ذلك على قلبِهِ دَفَعَ عنه مُحاضَرَة الشيطان ومحادثَتَهُ ووسواسَهُ، وما أَعظم غبنَ مَنْ أَمْكَنَـهُ أن لا يزال محاضر الرحمن ورسوله والصحابة، فَرغِبَ عن ذلك إلى محاضرة الشيطان من الإنس والجن! فلا غَبن بعد هذا الغَبن، والله المستعان».



الأمر الرابع عشر:

(التَّفكُّرُ في آيات الله عَزَّوَجَلَّ)

إذا صَرَفَ الـمسلِمُ فِكْـرَهُ إلى عجائب آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سواءٌ كان التفكُّر بالآيات المتلوَّة؛ وهي كلامُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، القرآن العظيم، أم كان التفكُّر في آياته الـمخلوقة؛ وهي آياته

الكونيَّة، فإنَّ هذا التفكُّرَ سيفتحُ للعبد أبوابًا من الخير كثيرةً، وسيشْغَلُ قلبَهُ بالإيمان والصِّلَة بالله عَزَّوَجَلَّ؛ مِمَّا يُبعِدُهُ ويُجنِّبُهُ مُواقعَةَ الآثام والخوضَ في الباطل، كما أنَّ هذا التأمُّل يُعَدُّ من أبرزِ الأسباب التي تَطْرُدُ الوساوسَ والشكوكَ عن النَّفس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

قال أبو سليمان الدَّاراني: «إني لأَخْرُجُ من منزلي، فما يقعُ بصري على شيءٍ إلا رأيتُ لله عَلَيَّ فيه نعمة، أو لِي فيه عِبرة»[1].

❀❀❀❀❀

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير (٢/ ١٨٤).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« الخامس عشر: التَّـفكُّر في الدنيا وسُرعَةِ زَوالِها وقُربِ انقِضائِها، فلا يَرضى لنفسِهِ أن يَـتَزَوَّدَ منها إلى دارِ بقائه وخلودِهِ أَخسَّ ما فيها وأقلَّه نفعًا إلا ساقطُ الهِمَّةِ، دَنِيءُ المروءة، مَيِّتُ القلبِ، فإنَّ حَسْرَتَـهُ تشتدُّ إذا عاينَ حَقِيقة ما تَزَوَّدَهُ، وتبيَّنَ له عَدَمُ نفعِهِ له، فكيف إذا كان تَـرَكَ تَزَوُّدَ ما يَـنْفَعُهُ إلى زادٍ يُعَذَّبُ به، وينالُهُ بسببِهِ غايةُ الألـم؟! بل إذا تَزَوَّدَ ما ينفَعُهُ وتَـرَكَ ما هو أَنفَعُ منه كان حَسْرَةً عليه».



الأمر الخامس عشر من بواعث ترك الذنوب:

(سرعةُ زوال الدنيا وانقِضاؤها)

فالحياة الدنيا سريعةُ الانقضاء، كما قال النبيُّ ﷺ: «ما لي وللدنيا! ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرة

ثم راح وتركها»[1].

فإذا تفكَّر الإنسان في سرعة زوالها وأنها مع ذلك دار ابتلاء وامتحان تَـيَـقَّنَ أنَّ إضاعةَ الوقت في هذه الحياة القصيرة فيما لا ينفعُ من الخسران المبين، فَضْلاً أن يُضَيِّـعَ وقتَـهُ في المعاصي التي ستكون وبالًا عليه يوم القيامة.

ولذلك يقول النبيُّ ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[2].

وذلك أنَّ الغريبَ وعابرَ السَّبيل لا يُعَلِّق قلبه بشيء في بلد الغربة بل قلبه متعلق بوطنه الأصلي، وإنَّما هَمُّهُ في سفرهِ أن يقضيَ حاجَتَـهُ ويرجعَ إلى وطنه[3].

*****

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم: (٢٣٧٧)، وابن ماجه في «السنن» برقم: (٤١٠٩)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم: (٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٤١٦).

(٣) انظر «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١١/ ٢٣٥).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« السادس عشر: تعرُّضُهُ إلى مَنِ القلوبُ بينَ أُصبعيه، وأَزِمَّةُ الأَمورِ بيديه، وانتهاءُ كلِّ شيءٍ إليه على الدوام، فلعَلَّهُ أن يُصَادِفَ أوقات النَّـفَحات كما في الأثر المعروف: (إن لله في أيامِ دَهْرِهِ نفحاتٍ؛ فـتعَـرَّضُوا لنفحاته، واسألوا الله أن يَسْتُـرَ عوراتِـكم، ويُـؤَمِّن روعاتِـكم)، ولعله في كثرة تعرُّضِهِ يصادفُ ساعةً من الساعات التي لا يُسْأَلُ اللهُ فيها شيئًا إلا أعطاهُ، فمن أُعْطِيَ منشور الدعاء أُعْطِيَ الإجابة، فإنه لو لم يُـرِدْ إجابـتَـهُ لما أَلْـهَمَهُ دعاءَهُ، كما قيل:

لو لم تُرِدْ نَـيْلَ ما أَرجو وأطلُـبُـهُ
من جُودِ كفِّكَ ما عَوَّدتني الطَّلبا

ولا يستوحش من ظاهر الحال؛ فإنَّ الله سبحانه يُعامِل عبدَهُ بمعاملةِ مَن ليسَ كمثله شيءٌ في أفعالِهِ، كما ليس كمثله شيء في صفاته، فإنه ما حَرَمَهُ إلا ليُعْطِيَـهُ، ولا أَمْرَضَهُ إلا لِيَشْفِيَـهُ، ولا أَفقَـرَهُ إلا لـيُـغْـنِـيَـهُ، ولا أماتَـهُ إلا لِـيُحيِيَـهُ،

وما أَخْرَجَ أبويه من الجنة إلا لِـيُعيدَهما إليها على أكملِ حال، كما قيل: (يا آدم لا تَـجْزَع من قولي لك: اخرج منها، فلكَ خلقْتُـها، وسأُعيدُك إليها).

فالربُّ تعالى يُنْعِمُ على عبده بابتلائـه، ويُـعْطِـيه بحِرْمانه، ويُصِحُّهُ بسَقَمِهِ، فلا يَسْتَوحِش عبدُهُ من حالةٍ تَسُوؤُهُ أصلًا إلا إذا كانت تُغْضِبُـهُ عليه، وتُـبْعِدُهُ منه».



الأمر السَّادس عشر من هذه البواعث:

(الالتِجاءُ إلى مَن بيدِه كُلُّ شيء)

فإذا عَلِمَ العبدُ أنَّ قلوب جميعِ العباد بين أُصبعين من أصابع الرحمن يُقَلِّبها كيف يشاء[1]، وأنَّ أَزِمَّةَ الأُمورِ طَوعَ

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم: (٢١٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: (١٦٨٥).

تدبيره وتسخيره عَزَّوَجَلَّ سارعَ إلى الالتِجاءِ إليه، وصِدْقِ التوكلِ عليه، والاعتصامِ به لِيَـقِيه شرَّ نفسِهِ، ويُعِيذهُ من ممَّا يسْخِطُهُ، ويهدِيه إلى صِراطِهِ المستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في حقِّ الصحابة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾.

ولهذا جاءت السنَّـةُ بأدعيةٍ كثيرة تحُثُّ على الاعتصام بالله عَزَّوَجَلَّ في الأمور كلِّها، منها دُعاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اهدِني لأَحْسَنِ الأَخلاق لا يهدي لأَحْسَنِها إلا أنت، واصرِفْ عَنِّي سيِّـئَـها لا يصرفُ عني سيِّئَها إلا أنت**»[1].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الاعتصامُ بالله والتَوكُّل عليه هو العمدة في الهداية، والعُدَّةُ في مُباعدة الغِواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد**»[2].

---

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» برقم: (١٧٦٢).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٨٦).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« السابع عشر: أن يعلمَ بأنَّ فيه جاذِبين مُتَضادَّين، ومِـحْنَـتُهُ بين الجاذبين، جاذِبٌ يجذبه إلى الرفيق الأعلى من أهل عِلِّـيِّين، وجاذِبٌ يجذبه إلى أسفل سافلين، فكُلَّما انقادَ مع الجاذبِ الأَعلى صَعَـدَ درجةً، حتى ينتهيَ إلى حيث يليقُ به من المحلِّ الأعلى، وكُلَّما انقادَ إلى الجاذِبِ الأَسْفلِ نزلَ درجةً حتى ينتهيَ إلى موضِعِهِ من سِجِّين، ومتى أرادَ أن يعلمَ هل هو مع الرَّفِـيق الأعلى أو الأسفل فليَـنْظُرْ أينَ روحُهُ في هذا العالم؛ فإنها إذا فارَقَت البدنَ تكونُ في الرفيق الذي كانت مُنجَذِبةً إليه في الدنيا فهو أَوْلَى بها، فالمرءُ مع من أحبَّ طبعًا وعقلًا وجزاءً، وكلُّ مُهْتَـمٍّ بشيءٍ فهو مُنْجَذِبٌ إليه وإلى أهله بالطبع، وكلُّ امْرِئٍ يَصْبُو إلى ما يُناسِبُـهُ، وقد قال تعالى: ﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾، فالنفوسُ العُلوِيَّةُ تَنجَذِبُ بذاتها وهِمَمِها وأعمالها إلى أعلى، والنفوس السَّافلة إلى أسفل ».

التعليق

الأمر السابع عشر من بواعث ترك الذنوب:

(التَيقُّظُ لجاذِبِ الخير والشَّـرِّ)

فكُلُّ عبـدٍ فيه جاذبان متضادان؛ جاذِبٌ يجذبُهُ إلى الرفيق الأعلى، وهناك جاذب آخر يجذِبُهُ إلى أسفل سافلين، كالنَّفسِ الأمَّارة بالسوء، والشَّيطان، وقُرناء السُّوء، فإذا سار العبدُ مع جاذِب الخير أفلحَ ونَجا، وأما إذا تَبعَ جاذِبَ الشَرِّ هلك -والعياذ بالله-.

فإن عُلِمَ هذا؛ فالواجبُ على كلِّ مسلم ناصِحٍ لنفسه أن يتيقَّظَ، وينظُرَ في جاذِبِ الخيرِ فيلزَمَـهُ، وأن ينأى ويَربأَ بنفسِهِ أن يسلكَ خلفَ جاذِب الشَرِّ والغواية، لأن المرء سيُحشر مع مَن أحبَّ كما صحَّ الحديث عن النبي ﷺ [١].

*****

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٢٣٨٥)، وصححه الألباني في «فقه السيرة» (٢١٤).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« الثَّامن عشر: أن يعلمَ أن تفريغَ الـمَحَلِّ شَرْطٌ لنزولِ غيثِ الرحمة، وتَنْقِيَتُهُ من الدَّغَلِ شَرْطٌ لكمال الزرع، فمتى لم يُفَرِّغِ المحلَّ لم يصادفْ غيثُ الرَّحمةِ محلًّا فارغًا قابلًا ينزل فيه، وإن فرَّغَهُ حتى أصابَهُ غيثُ الرحمة لكنَّه لم يُنَقِّهِ من الدَّغل لم يكن الزَّرْعُ زرعًا كاملًا، بل رُبَّما غَلب الدَّغَلُ على الزرع، وكان الحكمُ له، وهذا كالذي يُصْلِحُ أرضَهُ ويُهَيِّئُها لقَبولِ الزَّرْعِ، ويُودِعُ فيها البذر، ويَنْتَظِرُ نزولَ الغيث، فإذا طَهَّرَ العبدُ قلبَهُ وفرَّغَهُ مِن إرادات السوء وخواطره، وبَذَرَ فيه بذر الذكر والفكر والمحبة والإخلاص، وعَرَّضَهُ لـمَهَابِّ رِياحِ الرحمة، وانتظر نزول غيث الرحمة في أوانه؛ كان جديرًا في حصول الـمُغَل، وكما يَقوى الرَّجاءُ لنزول الغيث في وقته كذلك يَقوى الرَّجاء لإصابة نفحات الرَّحمن جَلَّ جَلَالُهُ في الأوقات الفاضلة والأحوال الشريفة، ولا سيَّما إذا اجتمعتْ الهِمَم،

وتساعدت القلوبُ، وعَظُمَ الجمعُ كجمع عرفة وجمع الاستسقاء وجمع أهل الجمعة، فإنَّ اجتماع الهمم والأنفاس أسبابٌ نَصَبَها اللهُ تعالى مُقْتَضِيَةٌ لحصول الخير، ونزول الرحمة، كما نَصَبَ سائرَ الأسبابِ مُفضِيةً إلى مُسَبَّباتِها، بل هذه الأسبابُ في حصول الرحمة أقوى من الأسباب الحسيَّة في حصول مُسَبَّباتها، ولكنَّ العبدَ لجهله يَغلِبُ عليه الشاهدُ على الغائب، والحسُّ على العقل، ولظلمه يُؤْثِرُ ما يحكم به هذا، ويَقْتَضِيهِ على ما يحكم به الآخر ويَقْتَضِيه، ولو فَرَّغَ العبدُ المحلَّ وهيَّأه وأصلَحَهُ لرأى العجائب، فإنَّ فضلَ الله لا يَرُدُّه إلا المانعُ الذي في العبدِ، فلو أزالَ ذلك المانعَ لسارعَ إليه الفَضْلُ مِن كُلِّ صوبٍ، فتأمَّل حال نهرٍ عظيم يَسْقِي كلَّ أرضٍ يَمُرُّ عليها، فحَصَلَ بينَهُ وبين بعض الأرض الـمُعْطَشَة الـمُجْدِبة سُكْرٌ وسَدٌّ كثيفٌ، فصاحِبُها يشكو الجدبَ والنهرُ إلى جانب أرضه!».



الأمر الثامن عشر :

(التخلية قبل التحلية)

بيَّن المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاعدةً عظيمةً؛ وهي أنَّ تفريغَ القلبِ من دَرَنِ الشرك والبدعة والمعصية شرطٌ لحصول الخير والبركة، وضَرَبَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلك مَثَلًا مَحْسُوسًا، وهو أنَّ مَن أراد أن يزرعَ زَرْعًا فعليه أوَّلًا أن يُنَقِّيَ الأرضَ من الأدران، ويُهَيِّأَها للزراعة، فإنَّها بعدَ ذلك ستكون أرضًا صالحةً للإنبات والإثمار، وعليه أيضًا أن يتعاهدَ النبات، وأن يَحميَهُ ممَّا يَضرُّهُ؛ فَيُبعِد عنه النَّباتات والحشرات المؤذية، والتي قد تنخر فيه وتُمرِضُه، وبذلك يسلَمُ له زرعه وينمو خيرَ نماء.

فهكذا يجبُ أن يكون حالُ المؤمن؛ فيجتهدُ أولًا بتنقيةِ قلبِهِ وتصفيَتِهِ من أنواع الشِّرك والمعاصي؛ لـيَعْمُـرَ الإيمان في

قلبه ويُثمِر، ثمَّ يجتَهِدُ بعدَ ذلك بتعاهُدِ هذا الإيمان وتصفِـيَـتِه ممَّا قد يَشوبُهُ من الذنوب والمعاصي؛ فيبادر إلى التوبة والاستغفار، والتَّخلُّصِ منها بالإقلاع عنها؛ ليزداد الإيمان نُمُوًا في قلبه، وتنزل عليه الرَّحمات والبركات.



قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« التاسع عشر: أن يعلمَ العبدُ أن اللهَ سبحانه خَلَقَـهُ لبقاء لا فناءَ له، ولعِزٍّ لا ذُلَّ معه، وأَمنٍ لا خَوفَ فيه، وغَناءٍ لا فَقْـرَ معه، ولذَّةٍ لا أَلَـمَ معها، وكمالٍ لا نَقْصَ فيه، وامتَحَنَـهُ في هذه الدار بالبقاء الذي يسرع إليه الفناء، والعزِّ الذي يُقارنه الذُّل ويَعقُبُـهُ الذُّل، والأمنِ الذي معه الخوف وبعدَه الخوف، وكذلك الغَناءُ واللذَّة والفَرحةُ والسرورُ والنعيمُ الذي هنا مَشُوبٌ بضدِّهِ؛ يَـتَعَـقَّـبُـهُ ضدُّه، وهو سريع الزَّوال، فغَلِطَ أكثرُ الخلق في هذا المقام إذْ طلبوا النَّعيمَ والبقاءَ والعِزَّ والـمُلك والجاه في غيـرِ مَحِلِّهِ، ففاتَهم في مَحِلِّهِ، وأكثَـرُهم لم يظفر بما طلبَـهُ من ذلك، والذي ظَـفر به إنما هو متاعٌ قليلٌ، ثم يزول عنه، والرسل إنما جاؤوا بالدعوة إلى النَّعيم المقيم، والمُـلْكِ الكبير، فمَنْ أجابهم حَصَلَ له ألَذُّ ما في الدنيا وأطـيَـبُـهُ، فكان عيشُهُ فيها أطيبَ من عيشِ الملوك فمن دُونَهم، فإنَّ الزهدَ في الدنيا مُلْكٌ حاضِرٌ، والشيطان يَحسُدُ

المؤمنَ عليه أعظمَ حَسَدٍ؛ فيحرصُ كلَّ الحرصِ على أن لا يَصِل إليه، فإنَّ العبدَ إذا مَلَكَ شهوتَهُ وغضبَهُ فانقادا معه لداعي الدِّين فهو المَلِكُ حقًّا؛ لأنَّ صاحبَ هذا المُلْكِ حُرٌّ، والـمَلِكُ الـمُنْقادُ لِشَهوته وغضَبِه عبدُ شهوته وغضبه، فهو مُسَخَّرٌ مَملوكٌ في زِيِّ مالك، يقودُهُ زِمَامُ الشهوةِ والغضبِ كما يُقَاد الـبَعير، فالمغرورُ المخدوعُ يَقَعُ نَظَـرُه على المُلْكِ الظاهرِ الذي صورَتُـهُ مُلْكٌ وباطِنُـهُ رِقٌّ، وعلى الشهوة التي أوَّلُها لَذَّةٌ وآخرها حَسْرةٌ، والبصير الـمُوَفَّق يُـغَـيِّـرُ نَظَرَهُ مِنَ الأوائل إلى الأواخر، ومن الـمَبادئ إلى العَواقب، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم».



الأمر التاسع عشر:

(النعيم والـعِزُّ الحقيقيُّ في دار البقاء)

إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلَـقَ للعِبادِ بقاءً لا فناء بعدَه، وعِزًّا لا

ذلَّ فيه، وغِنًى لا فقر معه، وأمْنًا لا خوفَ بعدَه، وذلك في جنَّات النعيم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

ولكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ امتحنه في هذه الدار بمُتَعٍ فانية، ولذَّاتٍ مُنغَّصَة، ومُلكٍ زائلٍ، فإن هو صبرَ عنها، واجتَنَب ما حرَّمَ الله عليه منها أعقبَهُ الله بالنعيم الحقيقيِّ، واللَّذة الدائمة في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

فالعبدُ المؤمن إذا استحضرَ في نفسه هذا النعيم المقيم، وعَلِمَ أنَّ لذَّة المعصيةِ الزَّائلة سببٌ لحِرمانه من هذه المقامات العالية جاهَدَ نفسَهُ على مقاومتِها واجتنابها لينال الهَناءَة والسَّعادة الدَّائمة.

❋❋❋❋❋

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«العشرون: أن لا يَغْـتَـرَّ باعتقاده أن مَـجَرَّدَ العِلم بما ذكرنا كافٍ في حصول المقصود، بل لا بدَّ أن يُضِيفَ إليه بذلَ الـجُهْدِ في استعماله، واسْتِفْراغَ الوُسْع والطاقة فيه، ومَلاك ذلك الخروجُ عن العَوائـد؛ فإنها أعداءُ الكمال والفلاح، فلا أفْلَحَ من استَمَرَّ مع عوائِدِه أبدًا، ويَستَعِينُ على الخروج عن العوائد بالهرب عن مَظانِّ الفتنة، والبعد منها، قال النبي ﷺ: «من سَمِعَ بالدَّجَّال فليَـنأ عنه»، فما استُعِينَ على التَّخَلُّص من الشر بمِثْلِ الـبُعْدِ عن أسبابِـهِ ومَظانِّه.

وههنا لطيفة للشيطان لا يتخلَّص منها إلا حاذق: وهي أن يُظْهِرَ له في مَظَانِّ الشرِّ بعضَ شيءٍ من الخير، ويدعوه إلى تَحصِيله، فإذا قَـرُب منه ألقاه في الشَّبكة، والله المستعان».



الأمر العشرون وهو آخرُ هذه البواعث المباركة:

(جهاد النَّفسِ والتَّخلُّصُ مِن عوائِدِ السوء)

فالعبدُ إذا ابتُلِيَ بمعصِيةٍ من المعاصي، واعتاد على فعلِها، فعليه أن يبذُلَ كامل وُسْعِه وطاقتِهِ لترك هذا الاعتياد السيِّئِ، وأنفعُ ما يفعَلُهُ لذلك – بعد الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ – أن يتخلَّص من الأسبابِ المؤدِّية لهذه المعصية؛ فإن كانت تقعُ مع رفقة سوءٍ فالواجبُ مفارقتهم، وإن كانت تحصل المعصية عند استخدام شيءٍ من الأجهزة الحديثة تخلَّصَ منها، وإن كانت المعصيةُ تتكرَّرُ منه في أرضٍ خاصَّة خرجَ منها، وغادرها.

ويدلُّ لذلك قِصَّة الرَّجلِ الذي قتلَ مائةَ نفسٍ، وذَهبَ إلى عالمٍ من العُلماء، وسأله هل له توبة؟ فقال له: «**نعم، ومن يحولُ بينَـكَ وبين التَّوبة؟ انطَلِق إلى أرضِ كذا وكذا، فإنَّ بها أُناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أَرْضِك، فإنها أرضُ سوء...**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٧٠)، ومسلم، واللفظ له، برقم: (٢٧٦٦).



قال الحافِظُ ابنُ حَجَر رَحِمَهُ اللهُ: «فيه إشارة إلى أنَّ التَّائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية والتحوُّل منها كلِّها»[١].



(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٦/ ٥١٧).



خاتمة

هذه بواعث قَـيِّمة ذكرها الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينبغي الاعتناء بها، ومجاهدةُ النفس على العمل بها، واستحضارُها متى ما سوَّلت النفسُ بشيءٍ من الباطل، لتحصُل للعبد السلامة والعافية والرِّفعة في الدارين.

ويتأكَّد في هذا المقام -وفي كل مقام- كثرةُ الدعاء، وحُسنُ الالتجاء إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ الهداية والتوفيق والاستقامة بيد الله وحده عَزَّوَجَلَّ، ومن أعطي الدعاء أعطي الإجابة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

فما أحوجَ العبد إلى أن يُكثر الدعاء والالتجاء إلى سيِّده وربِّه ومولاه أن يهديه، وأن يصلح قلبه، وأن يثبته على الحق والهدى، وأن يعيذه من سبيل الهلاك والرَّدى، والتوفيق بيد الله وحده.

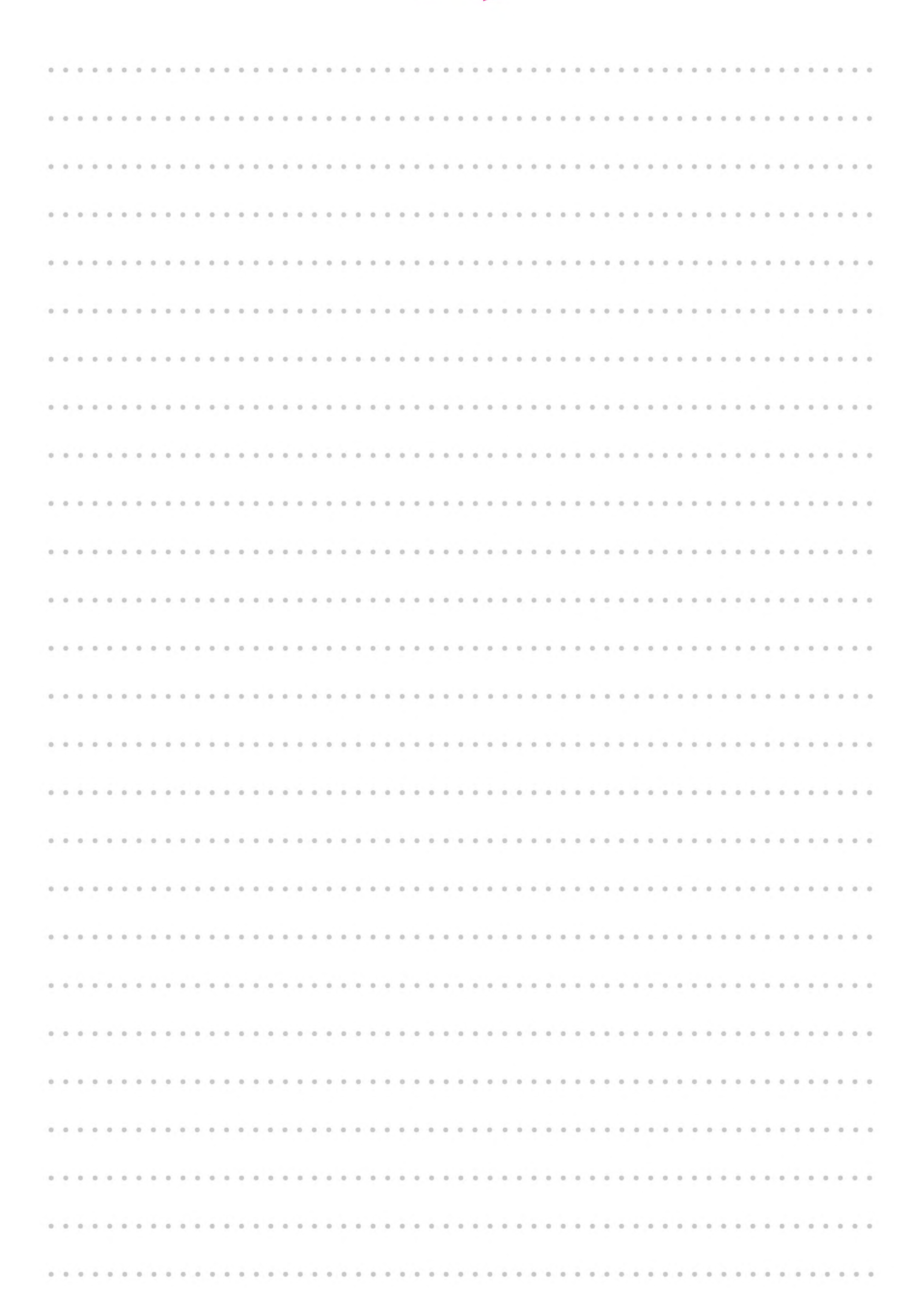
ونسألُ اللهَ أن يرزقنا أجمعين توبةً نَصوحًا، والثَّبات على الأمر، والعزيمة على الرُّشد، وأن يغفر لنا ما قدَّمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنَّا، وما هو أعلم به منَّا، إنَّه غفور رحيم.

ونسألهُ أن يُوَفِّقنا لما يُحبُّه ويرضاهُ من القول والعمل والهدى والنيَّة، والحمد لله وحدَهُ، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس


تم بحمد الله

فوائد




فوائد

